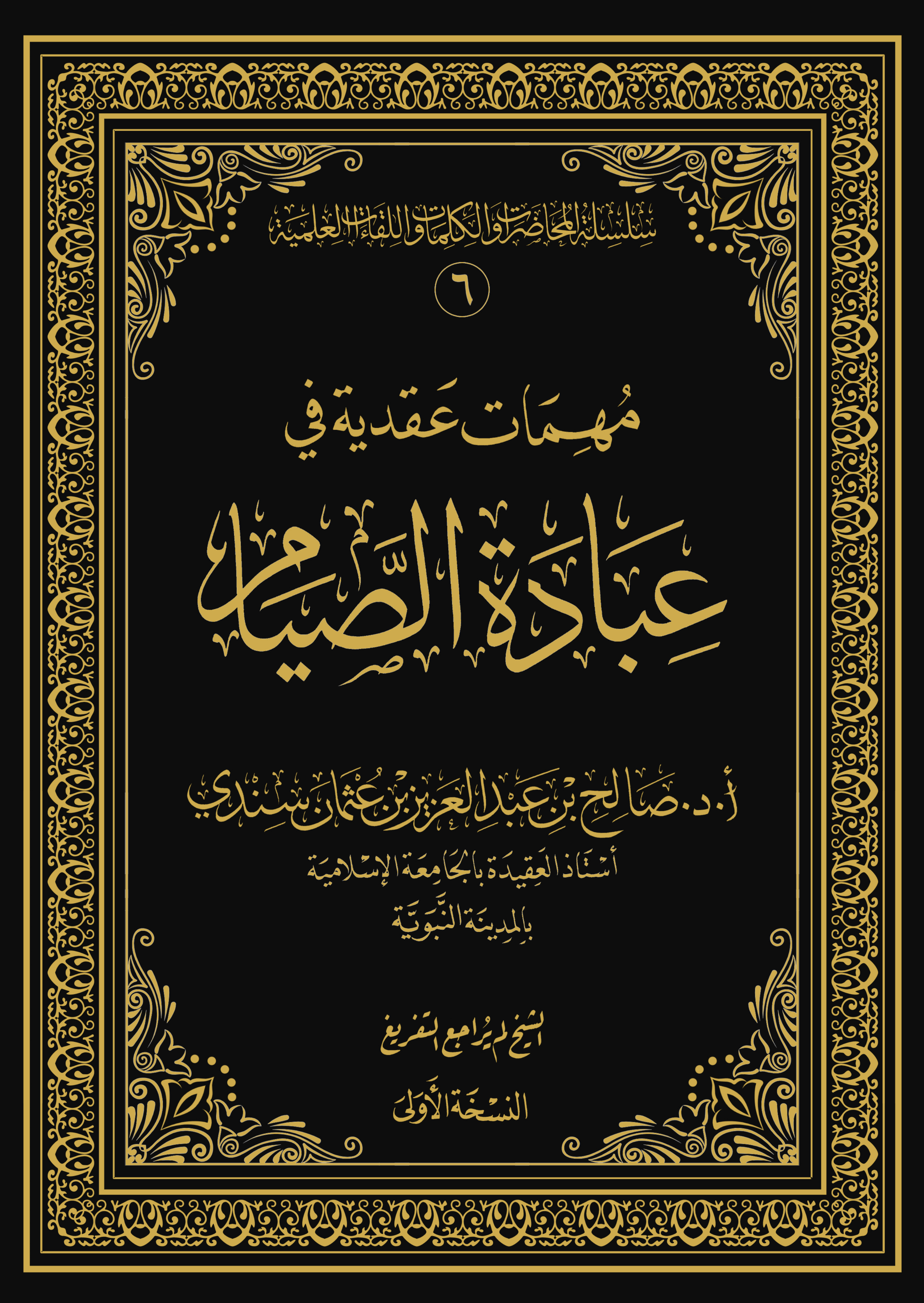


سلسلة المحاضرات والكلمات واللقاءات العلمية

٦

مهمات عقدية في

عبادة الصيام

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

مُهِمّات عَقدية في

عِبادة الصِّيام

سلسلة المحاضرات والكلمات واللقاءات العلمية



مهمات عقدية في عبادة الصيام

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، أمَّا بعد:

فحديثي في هذه الدقائق عن عبادة الصيام، لكن من جهةٍ أرى أنِّي وإخواني بحاجة إلى التذكير بها، فعنوان هذه المحاضرة: (**مُهِمَّات عقَدية في عبادة الصيام**)؛ أعني: أنَّها مباحث إيمانية وومضاتٌ تتعلق بأعمال القلوب التي هي من صميم مباحث العقيدة بلْ من أرفعها، وسيتجلى لك أيها الموفق: أنَّ بين الصيام والعقيدة رِباطٌ وثيق، وقد جعلتُ هذه المُهِمَات العقدية في تسع مسائل، أسوقُها لك بعون الله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه واحدةً واحدةً.



المسألة الأولى: مشاهدةُ مِنّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في التوفيق للصيام، فلا حول ولا قوة إلا به.

أيها الإخوةُ الكرام: إنَّ من أنفع الأشياء إلى العابد: شهودَ مِنَّة الله عليه جَلَّ وَعَلَا في عبادته، كما أنَّ من أنفع الأشياء له شهودُ تقصيرِهِ في هذه العبادة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي مَنَّ بهذه الطاعة وأعانَ عليها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العارفُ يسيرُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بينَ مشاهدةِ الـمِنَّة، ومطالعةِ عيب النَّفس والعمل**» انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد جمع هذين الأمرين حديثُ سيد الاستغفار بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبوءُ لكَ بنعمتِكَ علَيَّ وأبوءُ لكَ بذُنوبي**».

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «إغاثة اللهفان»: «**حق الله في الطاعة ستة أمور:**

- **وهي الإخلاصُ في العمل.**
- **والنَّصيحةُ لله فيه.**
- **ومتابعةُ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.**
- **وشهودُ مشهدِ الإحسان فيه.**
- **وشهودُ مِنَّة الله عليه فيه.**

❖ **وشهودُه تقصيرهُ فيه بعدَ ذلك كُلِّه»**، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولا شــك أنَّ شــهودَ مِنَّةَ الله على العبد في التوفيق للعبادةِ يوجبُ للنِّفْسِ محبةَ ربها وحمده والثناء عليه، **فهما ثمرتان زاكيتان لهذه العبودية، وهما:**

محبة المُنْعِم سبحانه.

واللَهَجُ بذكره وحمده.

فكن دائمًا أيها الموفق مُسْتَحضِــرًا شهودَ الــمِنَّة وسَبْقَ الفضل من ذي الفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الموضــوع من الأمور التي نغفل عنها كثيرًا يا أيها الكرام، فإنَّه يدخل علينا رمضان ونقوم بالعبادة، وهي الصيام، أو القيام دونَ أن نستشعر أنَّ لله علينا فضــلًا، وأنَّ له مِنَّةً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنتَ إذا أنعمتَ في هذا الأمر وجدتَ أنَّ مِنَنَ الله علينا كثيرة، بل كثيرةٌ جدًّا، **من ذلك:**

مِنَّتُه سبحانه بإدراك هذا الشهر، كونُ الله سُبْحَانَهُ مدَّ في عُمُرِكَ حتى بلَّغك هذا الشــهر العظيم، لا شــك أن ذلك مِنَّةٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد كان سُــليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوقظُ كلَّ من في داره إذا دخل شــهر رمضــان ويقول: **«قوموا فلعلكم لا تدركوه بعد عامكم هذا»**.

إذن شهودُ هذه الــمِنَّة لا شك أنَّ له أثرًا في الاجتهادِ في اقتناص هذه الفرصة التي مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها، وهي كونُ الإنســان حيًّا إلى هذا الوقت الذي تقامُ فيه شعيرة الصيام.

❁ **ومن ذلك يا إخوة أيضًا:** مشاهدة- ومطالعة **نعمة الله ومِنَّتِه علينا بتيسيره هذه العبادة،** فهي عبادةٌ ميسرةٌ ولله الحمد، وليست شاقة.

❁ **ومن ذلك أيضًا: مِنَّةُ الله علينا بالعلم بكيفيةِ أداء هذه العبادة،** ولا شك أنَّ هذه نعمةٌ عظيمة، ومِنَّةٌ كبرى منه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنْ عرَّفنا ما يُحِبُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِنَّا أن نفعل، فكونُ الإنسانِ يعبدُ الله على بصيرة، ويعلمُ كيف يصومُ الصومَ الصحيح الموافقَ لهدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا شك أنَّ ذلك مِنَّةٌ ونعمةٌ من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❁ **ومن ذلك أيضًا: إعانتكُ بالأداء لهذه العبادة،** أنْ هداكَ هدايةَ التوفيق، أنْ حرَّك قلبكَ وجوارحكَ، لأداءِ هذه العبادة، هذه مِنَّةٌ منه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وإلا فليس لكَ من نفسك شيء، ولا إلى نفسك شيء، إنَّما الأمر كله لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، تذكر (لا حول ولا قوة إلا بالله).

فهذا بابٌ عظيم وهو: استحضارُ إعانةِ الله عبدهُ على عبادته، فليكن لسانه لاهجًا بهذا الدعاء العظيم: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك**»، وقد كان الربيعُ بن خُثيم التابعي الجليل رَحِمَهُٱللَّهُ يقولُ إذا أفطر: «**الحمدُ لله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت**».

وإذا أردت أن تعرفَ فضلَ الله عليك بهذا فانظر إلى المرضى الذين لا يستطيعون أن يؤدوا هذا الصوم، فيَعْظُمُ في عينك وفي قلبك معرفةُ مِنَّة الله عليك بالإعانة لهذه العبادة.

۞ ومن تلك الـــمِنَنِ الكُبرى أيضًــا -بل لعل هذا من أعظمها- **كونُ هذا الشهر الكريم قد جاءنا ونحن والحمدُ والـمِنَّةُ والفضلُ لله على دين الإسلام،** منَّ الله علينا بأنْ كُنا مســلمين مؤمنين بالله ورســوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانظر إلى أهل الأرض كم هم؟ وكم الذين اصــطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ منهم فجعلهم مؤمنين به، وجعلهم صائمينَ قائمينَ بهذه العبادة.

۞ ومن ذلك: **مِنَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا بالرزق،** فنحن نصوم في أحسن حال نفطر ونتسحر، ونأكل ونشــرب فيما بين ذلك، فاللهم لك الحمد على هذه النِّعَمِ العظيمة.

۞ ومن ذلك: **مِنَّته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بتصفيد الشياطين.**

۞ ومن ذلك: **مِنَّته سبحانه بالأجر العظيم** الذي نُؤمل أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُنيلنا إياه في سلسلة طويلة من الـمِنَنِ العظيمة التي مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها على عباده، فلنكنْ على ذُكرٍ بهذا الأمرِ العظيم.



المسألةُ الثانية: مشاهدةُ التقصير

أهل الإيمان -يا إخوتاه- جمعوا بين الإحسانِ والشفقة، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقولُ في سورةِ المؤمنون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]، وفي حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عند «أحمد» و«الترمذي» وغيرهما، فسَّرَ النَّبيُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قال: «هم الذين يَصُومُون ويُصَلُّونَ ويَتَصَدَّقُونَ وهم يخافونَ ألا يُتقبَّل مِنْهُم».

مشاهدةُ التقصير، ومطالعةُ عيبِ النَّفس والعمل هذه -يا إخوتاه- **توجبُ أمرين عظيمين:**

۞ الأول: الانكسار والافتقار.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «الوابل»: «**أقربُ بابٍ دخل منه العبدُ على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا**»، انتهى كلامه رَحِمَهُٱللَّهُ.

وقال في كتابه «المدارج»: «**مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِنَفْسِهِ، وَبَصِيرَةٌ بِحُقُوقِ اللهِ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي طَلَبِهِ لَمْ يُبْقِ لَهُ نَظَرُهُ فِي سَيِّئَاتِهِ حَسَنَةً الْبَتَّةَ، فَلَا يَلْقَى اللهَ إِلَّا بِالْإِفْلَاسِ الْمَحْضِ، وَالْفَقْرِ الصِّرْفِ، لِأَنَّهُ إِذَا فَتَّشَ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَعُيُوبِ عَمَلِهِ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْبِضَاعَةَ لَا تُشْتَرَى بِهَا النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَضْلًا عَن**

الْفَوْزِ بِعَظِيمِ ثَوَابِ اللهِ، فَإِنْ خَلُصَ لَهُ عَمَلٌ وَحَالٌ مَعَ اللهِ، وَصَفَا لَهُ مَعَهُ وَقْتٌ شَاهَدَ مِنَّةَ اللهِ عَلَيْهِ بِهِ، وَمُجَرَّدَ فَضْلِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا هِيَ أَهْلٌ لِذَلِكَ، فَهُوَ دَائِمًا مُشَاهِدٌ لِمِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ، وَلِعُيُوبِ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ، لِأَنَّهُ مَتَى تَطَلَّبَهَا رَآهَا.

وَهَذَا مِنْ أَجَلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»»، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **والأمر الثاني الذي يوجبُه مشاهدةُ التقصير ومطالعةُ عيبِ النَّفس:** التوبةُ إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

أنا وأنت -يا أيها الموفق- أحوجُ شيءٍ إلى عبادةِ التوبة مع الصيام، فإنَّه مهما اجتهدنا في إيقاعِ عبادةِ الصيامِ على الوجهِ الذي يُحبه الله فلن نستطيع، فحقُّ الله أعظم، والغفلةُ غالبة، والتقصيرُ حاصل، والتهاونُ واقع.

خـذها قـاعدة: كلما عظُمَتْ محبتك لله وتعظيمُك له وعلمك به كلما عَظُمَ شهودك لتقصيرك، وكلما عَظُمَ شُهودك لتقصيرك عظُمَت توبتك حتى تكون على مدى الأنفاس.



المسألة الثالثة: تذكر أنَّ الصوم لله فصمْ لأجله

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه: «الصَّوْمُ لِي»، قد اختلفَ أهل العلم في توجيهه:

◉ فقيل: المقصودُ أنَّ الصوم عبادةٌ مُقَدَمَةٌ عندَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محبوبةٌ إليه؛ ولذا فلا يَعلمُ قَدْرَ جزائه إلا الله.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كفى بقوله: «الصَّوْمُ لِي» فضلًا للصيام على سائر العبادات».

◉ وقيل: إنَّ معنى قوله: «الصَّوْمُ لِي»، أي: إنه لم يُعبد به غير الله بخلاف غيرِ الصوم من العبادات؛ فالدعاء، والركوع، والسجود، والصلاة ونحو ذلك من العبادات، قد تَعَبَّدَ بها المشركون لغير الله إلا الصوم، هكذا قيل.

◉ وقيل: إنَّ معنى قوله: «الصَّوْمُ لِي»، يعني: ليس للصائم فيه حظٌّ بخلافِ غيره من العبادات، فإنَّ فيها أو قد يكون فيها حظٌّ لثناء الناس، ولذا قال بعض أهل العلم: «ليس في الصيام رياء؛ لأن الصيام عبادةٌ باطنة لا يعلم بها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، نعم قد يحصلُ الرياء بالإخبار بالصيام، أمَّا العبادة نفسها فإنَّه لا

رياءَ فيها.

۞ **والمقصـودُ يا أيها الفضـلاء**: أن نتذكر أننا نتعبَدُ في هذا الشـهر الكريم لله جَلَّوَعَلَا بشـــــيء يُحبه، وهو مقدَّمٌ لديه؛ لذا لابدَّ أن نصـوم لأجله، ولنتذكر قوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الثابتِ في «الصحيحين»: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، فإنَّ معنى قوله «**إيمانًا**» أي: إيمانًا بالله، وفِعْلًا لما أمرَ الله، واحتسابًا لأجل الله، وهذا فيه تحقيقٌ لما جاء في سيد الاستغفار، ولا نزال نستفيدُ الدروس الكثيرة من هذا الحديث العظيم من حديث ســيد الاســتغفار، فإنَّ فيه: «**وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْـتَطَعْتَ**»، فالله عَزَّوَجَلَّ عَهِدَ إلى عباده عَهْدًا أمرهم فيه ونهاهم ووعدهم إنْ وفَّوا بالعهدِ، أن يُثيبَهُم أحســنَ الوفاء، فالقيامُ إيمانًا: هو العهد، والاحتساب: هو رجاءُ ثواب الله على ذلك.

إذن قوله: «**إيْمانًا واحْتِسابًا**» فيه بيانُ الباعثِ والمقصود.

الباعثُ: هو الإيمانُ بالله، **والمقصودُ**: نيلُ ثواب الله.





المسألة الرابعة: احتسبْ ثواب الصيام، وتذكر أنَّ الذي يجزي به هو الكريم سُبْحَانَهُ

وهذا ما أشرتُ إليه في المسألة الثالثة، «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، ما أعظمَ هذه الكلمة! إنَّ الكريمَ إذا قال: أنَّا الذي أتولى العطاء فلا شك أنَّه سيكونُ عطاءً مُعظَّمًا مُفخَّمًا، فكيفَ إذا كان أكرمُ الأكرمين سبحانه هو الذي قال: «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، فأبشرْ بالخير فربكُ كريم، وعطاؤهُ جزيل، جِدُّ جزيل.

وأوصيك يا أيها الموفق: أنْ تحتسب أنواع الثواب التي وردت للصيام:

- تذكر باب الريان.
- تذكر «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».
- تذكر «وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مكفراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ».
- تذكر «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ».

إلى غير ذلك مما جاء في الصيام.

❁ **لاحظ أنَّ القاعدة في أبواب العبادات**: أنَّ رجاءَ الثواب المعين أقوى في التصديق وأدعى إلى تحسين العبادة.

كما أنني أنبهُك إلى أمرٍ مهم يتعلق بباب احتساب الأجر ألا وهو: **أنَّ للمؤمن نظرين في هذا المقام:**

۞ **الأول**: أنه يُؤمن ويُصدق ويُوقن أنَّ هذا ثوابُ الله الذي رتَّبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذه العبادة أو تلك، والله لا يُخلف الميعاد، فهو واقعٌ قطعًا لكلِّ من استجمع شروطَ الإثابة، وانتفى عنه المانع، هذا نظرٌ مُطلق.

۞ وثمَّةَ نظرٌ معينٌ يتعلقُ بالإنسانِ نفسه، وها هنا ينبغي أنْ يكونَ الإنسانُ بينَ خوفٍ ورجاء، يرجو إصابةَ ذاكَ الثواب، وهذا هو الاحتسابُ الذي جاء في الحديث: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحتسابًا»، « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحتسابًا»، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيمَانًا واحتسابًا» هذا هو الاحتساب فأنتَ ترجو نيل الثواب، ومع ذلك: ضُمَّ إليه الخوفَ من فواتِ هذا الثواب.

إذن عليك أيضًا أن تخافَ الحرمان، لا لأنَّ الله سبحانه قد يُخلف الميعاد، حاشا وكلا، ولكن قد تُؤتى من نفسِك، قد تُعاقب على تقصيرك، أو على ذنوبٍ لاحقة، لذهابِ هذا الثواب.

إذن كنْ -يا أيها الموفق- بين الخوف والرجاء.



المسألة الخامسة: استفدْ درس العبودية

وأنتَ تصوم، أو فيما ييســرهُ الله عَزَّوَجَلَّ لكَ من القيام، استحضرْ العبوديةَ لله، استحضر أنَّك عبدٌ لله، واللهُ إلهك، ومولاك، وسيدُك، وربُّك، فأنتَ تتوجه حيث وجهك ربُّك وسـيدُك، ليس لك من الأمر شيء، ليس لك إلا أن تقول: (سـمعتُ وأطعتُ).

أَمَرَكَ الله أن تتعبد بعبادةٍ معينة، في وقتٍ معين، فليس لكَ أن تُبْدِلَ ذلك بغيره، ولا أن تُغيرَ الوقتَ بغيره، إنما اســتذْكِر «خَلَقْتنِي وَأَنَا عَبْدُك»، والعبدُ ليس له من أمرهِ شيء، إنَّما أمره كلُّه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي نواصي العبادِ بيده، وهو ســيدُهم وهو مولاهم، وهو الذي يأمرهم وينهاهم، وهم ليس منهم شيء، ولا إليهم شيء، فمهما أمر ومهما نهى فليسَ للعبد في هذا المقام إلا أن يقول: (ســمعتُ وأطعت)، إذن لا يفُتْكَ درسُ العبودية.

شـهرٌ يُقالُ له رمضـان عليك أن تصـومه، أمركَ الله بصيامه، ولا يجوزُ لك في نهاره أنْ تأكــل، أو أنْ تشــرب، أو أنْ تعاشر أهلك بالجِماع، إذن ليس لك إلا أن تقول: (سمعتُ وأطعت).

ثم يأتي وقتٌ آخر اســمه يوم العيد، يُقال لك: في هذا اليوم لا يجوز لك أن تصوم، إذن ليس لك أن تقول إلا: (سمعت وأطعت).

يقول الله لك: صُمْ في النهار وأفطر في الليل، فتقول: (سمعت وأطعت).

ولو قُدِّر أنه قيل لك: صُـمْ في الليل وأفطر في النهار فإنه ليس لك من نفسـك شيء إلا أن تقول: (سمعتُ وأطعت).

إذن نحن عبادٌ لله، والعلةُ في هذه العبادة إنما هي: أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وما نحن إلا عباده، الله خلقنا ونحنُ عباده، «**خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ**»، تـذكر درس العبودية.



المسألة السادسة: عظِّمْ ما عظَّمَ الله

استحضـــر -يا رعاك الله- أنَّ هذه العبادة -أعني عبادة الصوم- عبادةٌ قد عظَّمها الله، ويكفيكَ قوله سبحانه: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

إذن عبادةٌ عظَّمها الله، وزمانٌ عظَّمه الله، إذن عليك أن تُعظِّم ما عَظَّم الله، استحضـر هذا، انظر إلى العبادة وإلى زمنِها بعينِ الإجلالِ والمحبةِ، لا كما يفعلُ من قَلَّ نصيبه من تعظيم هذا الأمر ممن يستثقلون هذا الشهر، ويستثقلون هذه العبادة، وينتظرونَ زوالَ هذا الشهر بفارغِ الصبر، لا شك أنَّ هذا يتنافى وتعظيمَ هذا الشهر.

❁ **ومن تعظيم هذا الشـــهر وتعظيم هذه العبادة وتعظيم ما عظَّم الله: أن تحذر معصية الله في هذا الشهر العظيم**، فإنَّ هذا من نقصِ التعظيم الذي ينبغي عليك.

❁ **من تعظيم هذا الشـهر: أن تُرابطَ على ثغور جوارحك**، وأن تحفظها إلا عن طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فتجِدَّ وتجتهد بما تســتطيع بما يوفقك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إليه من الطاعة.

❁ **من تعظيم هذا الشهر: أن تحذرَ من الغفلة، أن تَشْغَلَهُ كله بطاعة الله.**

يُلاحظ -يا أيها الإخوة- أنَّ من الصائمين من عنده نشاطٌ في أول الشـهر تمر عليه الأيام الثلاثة أو الأربعة أو الخمس الأولى وعنده نشــاط وعنده همة، ثم بعد ذلك يخبو هذا النَّشاط، وتدبُّ الغفلة، ويُصابُ الإنسانُ بداءِ الكسل، فتمرَّ عليه الأيام بعد ذلك وقد قلَّ نشاطه واستحضاره لهذه العبادة العظيمة، ولا شك أنَّ

هذا يتنافى وكمالَ التعظيم لما عظَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذن اجتهدْ، رابطْ، جاهدْ نفسك = حتى تُشْغِلَ هذا الشهر الكريم بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما هي إلا أيامٌ معدودات.



المسألة السابعة: التمس الأثر الإيمانيَّ للصيام

هذه العبادة عبادة الصيام لها أثرٌ على القلبِ والجوارح فالتمسه، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حاجةٌ فِي أَنَّ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

ويقول أحدُ السلف وهو ميمون بن مِهْران رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أهون الصيام ترك الطعام والشراب»، كأنَّه يقول لنا: إنَّ ذاك الصوم الذي يحتاج إلى مجاهدة هو صومُ الجوارح، هذه هي التقوى، هذا هو الأثر الذي عليك أنْ تبحث عنه في نفسك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٨٣]، هذا هو الأثر، هذه هي الجائزة، هذه هي الفائدة: تحقيق التقوى، وإلا فالله غنيٌ عنَّا وعن عبادتنا، إنما النَّفعُ لك، ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

إذن يا إخوتاه: رمضانُ امتحانٌ، فناجحٌ وخاسرٌ، فاخترْ لنفسك.



المسألة الثامنة: الإيمان يزيد بالطاعة

ما يعيشُه المسلم في هذا الشهر الكريم، وما يراه في إخوانه المسلمين، دليلٌ من الشاهدِ المحسوس على القولِ الحق الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة: (**أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة**)، إي والله، يزيدُ إيمان الباطن فيزيدُ الإيمان الظاهر، يزيدُ الإيمان الظاهر فيزيدُ الإيمان الباطن، وهلمَّ جرًّا.

من ثوابِ الحسنة الحسنةُ بعدها، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، الأعمالُ الصالحة مَثَلُهَا مَثَلُ سلسلةٍ من الخير آخذٌ بعضُها برقابِ بعض.

ولذا انظرْ في هذا الشهر الفضيل، كيف هي أعمال الخير الجزيلة المتتالية المتتابعة، صومٌ، وصلاةٌ، وقيامٌ، وتلاوةٌ، وذكرٌ، وصدقةٌ، واعتكافٌ، وعمرةٌ وهلمَّ جرًّا في عباداتٍ كثيرة.

إذن الإيمانُ يزيد بالطاعة، اجتهدْ في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتحققَ الإيمان، والإيمانُ هو نجاتك.



المسألة التاسعة والأخيرة: احذر الحرمان

إنْ وفقك الله عَزَّوَجَلَّ لشـــيء من الطاعة في هذا الشهر، فاعلم أنَّه بمثابة رأسِ المـال، وحقُ رأسِ المـال أن تُحافظ عليه من الخســارة، **فأوصــيك بأمرين يا أيها الموفق:**

❁ **الأول: أن تعزم على الاستمرار بعد رمضـان على العمل الصـالح**، وتذكر قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أدومه وَإِنْ قَلَّ».

❁ **الأمر الثاني: أن تَحْفَظَ هذا الثواب الذي ترجو أن ينالك من ربك الكريم** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **أن تحفظه من الضياع**، وضياعه بارتكاب المعاصي من بعده، من بعد هذا الشـهر الكريم، فاعزم على ترك المعاصي، فإنَّ من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ السيئة المتأخرة قد تُحبِطُ حسنة متقدمة؛ ولذا فسّـَــر السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝﴾ [محمد: ٣٣]، قالوا: (بالكبائر)، فالمعاصي لها أثرٌ في إحبــاطِ الأعمال المتقدمة، وإنْ زَلَلْتَ فبادرْ بالتوبة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠١].



وبعد: فهذه فوائدُ أحببتُ تذكيرَ نفسـي وإخواني بها، أسأل الله أن يجعل حظنا منها العلم والعمل، وأن يجعلها شاهدةً لنا لا علينا.

اللّهم ارزقنا إخلاصًا يُخلِّصنا وطاعةً تُنْجِينَا، وأَعِذْنَا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، نسألك العفو والعافية، والقبولَ والتجاوزَ عن الغفلة والتقصير، ونسألك أن تختم لنا بالحُسنى يا ذا الجلال والإكرام، والله جَلَّ وَعَلَا أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

